مجلة الحكمة للدراسات الأدبية و اللغوية
Eissn :2600-6421 Issn : 2353-0464
المجلد 10 / العـــدد: 03 (2022)، ص: 63- 79

تماهي الذات الكاتبة والميثاق المرجعي في الرواية السيرية:﴿سيرة المنتهى عشتها كما اشتهتني﴾ لواسيني لعرج

د. سامية بابا[1]

[1]علوم اللسان- جامعة الجزائر 2

تاريخ الاستلام 2022/08/09 تاريخ القبول: 14 /2022/09 تاريخ النشر: 2022/09/20

الملخص باللغة العربية :

يتناول هذا البحث ، الإشكالية التي مفادها كيف تتجلى الأنا الكاتبة في الرواية السيرية: « سيرة المنتهى عشتها كما اشتهتني» لواسيني لعرج، الذي عمد إلى سرد حياة جده وجدته ، واحتلت حياتهما مساحة كبيرة من الرواية ، التي تعتبر رواية سيرية ، ونجده في ذلك يتماهى مع تاريخ حياة جديه وأفراد عائلته في جو حميمي يأخذ المتلقي بعيدا ، دون أن ينسى الجانب الذاتي له ، ففي رحلة صوفية تتجلى الأنا الكاتبة ، لتكشف عن عوالم خاصة تربطها بأفراد عائلتها ، وللكشف عن أبعاد الأنا الكاتبة استعنا بنظرية فيليب لوجون في السيرة ، وهي نظرية الميثاق المرجعي .

Summary:

This search deals with the problem: how the writer's ego is manifested? in the biographical text «sirat el montaha ichetoha kama ichetahatni» from« Waciny Laradj.This lettre he recounted the life of his grandmother, and Thiers lives occupied a large area of the novel, and we find in This the life history of grandparents ,and writer's family a members in an intimate atmosphere that takes the recipient away wthout forgetting his personal side.

المؤلف المرسل: د. سامية بابا

1- 1 -الميثاق المرجعي والكشف عن الذات الكاتبة :

يتحقق وجود الميثاق المرجعي في النص ؛ ويكون فيها استعادة لأحداث السيرة كشرط أساسي لحصوله ، فالميثاق "المرجعي مصطلح أطلقه "فيليب لوجون" (Lejeune 1975)ليميز بها الكتابات المرجعية من التخيلية .ففي النصوص العلمية والتاريخية والصحافية يتعهد المؤلف تعهدا صريحا أو ضمنيا بأنه يحيل فيما يكتب إلى حقائق واقعية[1]، وفي هذا المقام يقول لوجون :« ليس من الضروري أن تأخذ النتيجة طابع التشابه المحض. يمكن أن يكون الميثاق المرجعي غير موفى به، بما فيه الكفاية ، حسب المعايير القارئ ، دون أن تختفي القيمة المرجعية للنص (بل بالعكس)، وهو ما لا يقع بالنسبة للنصوص التاريخية والصحفية.»[2] ولهذا يستحدث "لوجون" مصطلح رابع هو:النموذج "le modèle"؛ فالنموذج مرتبط أكثر بالسيرة "la Biographie"، وهو يحتاج إلى الصدق والتزام الدقة، إذن:"فالنموذج في حالة السيرة هو حياة إنسان كما كانت بالفعل ، ويصل في السيرة فيتخذ المساحة الكبرى في كامل النص ، وهذه النظرية من شأنها الكشف عن خبايا الأنا في ثنايا الكتابة ؛فالميثاق المرجعي مصطلح ارتبط بالسيرة والنموذج المعطى الذي سوف نعمل على إجلائه .

2-2- تجليات النموذج في الرواية السيرية "سيرة المنتهى عشتها كما اشتهتني":

يبدأ "واسيني الأعرج" رحلته الذهنية في هذه السيرة ، من حياة جده ، ويتضح للقارئ ذلك من بداية السيرة، من خلال الإهداء :" **اسمع يا جدي قصة حياتي ، وإذا كنت ترى أنّي حاربت حقيقة برفقتك، وجرحت بدون أن يعلم أحد أعط ظهري أبدا للعدوِّ، امنحني بركاتك ورضاك." ويضيف في الصفحة الموالية: "حبيبي ومولاي الجليل سيدي علي برمضان إلكوخو دي ألميرتا المسمى**

[1] محمد القاضي، معجم السرديات ،تأليف مجموعة من المؤلفين،،دار محمد علي،ط1: 2010؛ص:448.

[2] فيليب لوجون، الميثاق والتاريخ الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ص:53.

الروخو:" تستحق أكثر منهذا ياجدي"[3].وهذه الرحلة غوص في الذاكرة، وإن بدأت بالجد الأندلسي ، إلا أنها وقفت عند الجدة ، التي لديها أثر كبير في توجه الكاتب ومسلكه الحياتي ، والوالدة التي بذلت فأوفت من أجل أطفالها، فنالت الكرامة ، "وفي حكاية الكرامة ، حيث تم نقل المحتوى الرمزي والدلالي إليها ، وذلك عن طريق اختراق المعجزة ونصها المقدس ، وتجاوزه بخرق خوارق أخرى ، على الرغم من أنها تشترك مع المعجزات في موضوع الخرق ، لكنها تنوع على الموضوع الأساس الوارد في القرآن ، كإشارته لإحياء سيدنا عيسى للموتى .[4]وهذا تساؤل تمظهر عبر النص ، ليكشف" **التماهي البطولي للبطل الذي يتجاوز حدود الخيال إلى الواقع ، يقول الكاتب في معراجه :ربي أرني كيف تحي الموتى؟"**[5]وهذا المنزع الصوفي الذي ينتاب الكاتب للمرأة دور كبير فيه ، فهي إذن شخصية الجدة "حنا فاطنة "التي يقول عنها الكاتب أنها :" **العمود الحكائي فقد ارتبط بشخصية حنّا فاطنة ، أو الجدة .فهي معلمي الأول في العمل السردي. لقد كانت الوسيط الأسمى والأنبل بيني وبين جدي الأندلسي .**[6] فالجدة على الرغم من ثقافتها الشعبية إلا أنها ساهمت بشكل أو بآخر في تشكيل ملامح الكاتب ومخيلته ، وتتمظهر التجربة الصوفية في الفصول التي أسفر فيها عن الذاكرة التي يسكنها الشيخ الأكبر هو "ابن العربي" ، وتتخذ الرحلة في حالة هذه الرواية السيرية بعدا رمزيا ، فهي رحلة في الذاكرة ، وإسفار له مدلولاته وأبعاده الفكرية ، والذاكرة هنا متشعبة يغزوها حنين إلى المطلق ، وهنا تكمن شعرية ما هو مكتوب ، فهذه الرحلة الذهنية تصل إل مقام سدرة المنتهى ، وهو معراج رمزي وإبحار في

[3] واسيني الأعرج، سيرة المنتهى عشتها كما اشتهتني، منشورات البغدادي،ط1؛2014؛الجزائر،ص:11

[4] -آمنة بلعلى ،تحليل الخطاب الصوفي ،في ضوء المناهج النقدية المعاصرة ،منشورات الاختلاف،ط1 2010،ص:305.

[5] الرواية،ص:293

اللامنتهي، كما يقول "**ابن العربي**" ":ترتيب الرحلة من العالم الكوني إلى الموقف الأزلي ، وهو معراج أشباح ، وإسراء أسرار لا أسوار ، رؤية جنان لاعيان، وسلوك معرفة ذوق وتحقيق، لا سلوك مسافة وطريق."[7] وهذه الرحلة الذهنية هي ممتدة من ذاكرة ممتدة من الجد إلى الحفيد، ومن الجدة إلى الحفيد ، يقول المؤلف مخاطبا جدته: **"سادة الخير والشهداء .الحلاج. البسطامي. الجنيد. حافظ الشيرازي. مولانا جلال الدين الرومي، رجل النور والتواضع الكبير ...عرفتهم يا حنّا من كتبهم، سيدي ابن عربي مغلق وصعب. عرفتهم فقط من نورهم وحبهم الكبير. هنا لا شيء مغلق .ما فينا من وهج يفتح كل المغاليق** .[8]وبالنظر لهذه السيرة الذهنية نرى أنها لا تخرج عن نطاق السيرة عموما ، يقول "**محمد الداهي**" :"مايزال مفهوم السيرة الذهنية (بشقيها الذاتي والموضوعي) يتداخل مع مفهوم السيرة (بشقيها كذلك)، ويتشابك معها إلى الحد الذي لا يمكن معه الفصل بينهما .كما أن التعريف الذي حدد «فيليب لوجون »السيرة ينطبق تمام الانطباق على السيرة الذهنية.[9] وإذا ما طبقنا عليها قانون التطابق ل:"ف.لوجون" نجده متوفر يتراءى للقارئ ؛فالسارد هو نفسه المؤلف "واسيني لعرج "، وهو شخصية ليست رئيسية في العمل السيري، إذ نجد شخصية النموذجية المتمثلة في "الجد الروخو"، الجدة "حنا فاطنة"، ومخطط التالي يوضح ذلك:

المؤلف = السارد =البطل

واسيني لعرج = (ضمير المتكلم يعود على المؤلف= النموذج.(الجد، الجدة،)

---

[6] الرواية،(الملحق)

[7] محي الدين ابن عربي ،كتاب الإسرا إلى مقام الأسرى ،ضمن كتاب رسائل ابن عربي ،دائرة المعارف العثمانية ،ط1،آباد،ص:2.

[8] الرواية،ص:117.

[9] محمد الداهي ،شعرية السيرة الذهنية،ص:17.

ويتحدد الميثاق المرجعي في النص بحسب" فيليب لوجون" من مؤشرات خارجية عن النص تبينه ، وبالنظر إلى الرواية نجد أول مؤشر هو:

2-2-1-المؤشر الجنسي l'indicative générique:

الحقيقة أننا في المنطقة الوسطى مابين الرواية والسيرة ، فهذا النص مزيج من جنسين أدبيين هما الرواية والسيرة ؛ ويتولد عن هذا التمازج بين الجنسين ، جنس أدبي وليد هو الرواية السيرية التي تتحدد بالميثاق المرجعي ، الذي تمثله كل نصوص السيرة والسيرة الذاتية اللذان يمثلان نصان مرجعيان des textes référentiels ([10]) ، فهما "تماما مثل الخطاب العلمي أو العلمي أو التاريخي يحيلاننا على الواقع الملموس خارج النص المكتوب ، والغاية من الكاتب البحث عن الأثر الواقعي "l'effet de réel ([11])، الذي يتجلى بشكل صريح وواضح في عدة عناصر، سوف نعمل على إجلائها فيما يلي:

2-2-2-الخطاب المقدماتي ووظيفة الاعتراف:

يستغني فيليب لوجون عن النص الفوقي مثل الحوارات وتصريحات الكاتب ، التي تشير إلى مصداقية المؤلف وصدق ما هو مكتوب في النص ، عن طريق ما سماه بالميثاق الأوّلي "le pacte initial " وهو بمثابة اعتراف يقع في بداية النص ، مثل ما نجد في بداية الرواية يقول **واسيني لعرج:"نستحق أكثر من هذا يا جدي الأعظم ، أنحني .....سأكتبك بالشكل الذي ينقلني نحوك بلا وسيط**

2-2-3-التصديرات عبارة ميثاق ذاتي:

تمثل التصديرات "l'épigraphe" مكون أساسي لنص المحيط التي من شأنها تدعيم الميثاق الذاتي "auto pacte" وهو المعرفة الحقيقية vrai savant

[10] Philippe Lejeune ,le pacte autobiographique ,Ed seuil ,paris,1975,p:36.

[11] ibid,le pacte autobiographique ,p: 36

[12]فالبحث عن الحقيقة ، يدخل في خضم معرفة الذات من جهة ، ومن جهة أخرى معرفة الذات هي رحلة وجودية **لاكتشاف الأنا** وعلاقته بالآخر ، ومن هذا المنطلق يتجلى لنا "مفهوم السيرة الذهنية تمييز الجنس التاريخي من النظري، فالأول يصدر عن ملاحظة الحقيقة الأدبية وهو يتعلق بما تم تلقينه في المدارس ، إذ يتم التعريف مثلا بالمأساة الكلاسيكية التي تفترض وجود أعمال تنتسب إليها، أما الثاني فهو يُستنتج من أعمال شعرية " [13]، يبدأ "واسيني لعرج" رحلته الذهنية ، من حياة جده ، ويتضح للقارئ ذلك من بداية السيرة :" **اسمع يا جدي قصة حياتي ، واذا كنت ترى أنّي حاربت حقيقة برفقتك، وجرحت بدون أن يعلم أحد أعط ظهري أبدا للعدوّ، امنحني بركاتك ورضاك. "ويضيف في الصفحة الموالي" حبيبي ومولاي الجليل سيدي علي برمضان إلكوخو دي ألميرتا المسمى الروخو:" تستحق أكثر منهذا ياجدي"**[14]

2-2-4. التمظهرات النصية لاسم العلم:

يمثل اسم العلم le nom propre مدعم أساسي لنظرية الميثاق السير الذاتي لدى "ف.لوجون" ، وهو يتمظهر في هذا النص السيري ، ليُدعم الميثاق المرجعي ، كاشفا بذلك عن مظهر ذاتي مهم خاص بالكاتب الذي يسرد أشياء حميمية عن نفسه وأفراد عائلته كجده وجدته وأمه، وأشقائه... .، وعن الوظيفة المرجعية التي تحيل إلى الواقع الملموس. ويأتي اسم العلم في النص السيري كاملا غير مجزوء ، جاء في الرواية: **"يشبهني فقط، ولكنه كان أنا .أنا واسيني .تماسكت وأنا أقبض على خشبة التابوت مثل طفل خائف أي شيء قريب منه"**[15]، فهذه الأنا الكاتبة تحقق وجودها من خلال الأنا السابقة (أي شخصية الجد والجدة)،

---

[12]Philipe Lejeune, moi aussi, Ed, seuil, paris, 1986. P:13

[13] محمد الدّاهي ،شعرية السيرة الذهنية ،محاولة التأصيل ،دار رؤية ط:2008،ص:16.15

[14] الرواية،ص:337

[15] . الرواية، ص: الفهرس،337.

"وهي إحدى الآليات لتجاوز البحث في الذات في حد ذاتها من جهة ، وطريقة لرسم حدود التفاعل بين الذات وموضوعها"[16] .وموضوع الكاتب هو جده أولا ، هذا الجد الذي يعود من خلاله إلى سحر الشرق ، حيث يصفه بالجبل الأعظم ، وتحت عنوان : جدي الرّوخو خطوات الدهشة على الجبل الأعظم ، يخصص له فصل كامل ، كما يلي:

1. **رؤيا التماهي الأخير** .
2. **غفوة الذئب الرماد.**
3. **عرفني إذ رأيته.**
4. **لا شيء ينطفئ.**
5. **رجل الحروف والبارود.**
6. **كيف يهجر الرّب بيته.**
7. **حررني يا إلاهي** .[17]

والملاحظ أن التماهي الحاصل بين الذات الكاتبة أي "واسيني لعرج"، وأسلافه يجد صداه عندما يلتقي الكاتب وجدته "حنّا فاطنة" التي يعتبرها الكاتب بمثابة المعلم الأول الذي قاده نحو قدر الكتابة يقول الكاتب وجاء ذلك في الرواية.

وهذا التماهي يتجلى بفنية بالغة الشاعرية في العنوان ، بصفته المؤشر الأساسي يدل على الكاتب أي المؤلف "واسيني لعرج" ، ويدل على الذات المكتوبة الجد والجدة والأم.

3-1التماهي وصورة الأنا في العنوان: يتصدر العنوان الصفحة الأولى لسيرة الروائية :"سيرة المنتهى ، عشتها كما اشتهتني" ؛وهذا العنوان إعلان صريح لتوجه

[16] محمد الكاس ،الذات والرواية ،دار بوكيلي لنشر ط1 ،2013،ص:21

[17] الرواية،ص:106-107.

الإيديولوجي للكاتب ، وكما يقول "ف.لوجون" "سوف أصل إلى المهم إيديولوجية السيرة الذاتية l'idéologie autobiographique[18] هذه الإيديولوجية التي تشير إليها هذه الرواية ، والتي تتجلى من العنوان تتمحور حول فكرة التماهي الكائنة لدى المتصوفة ، مما يضفي على العمل السيري صبغة الذهنية ، وإذا ما عدنا إلى الكاتب نجده طالما أشار في حوارته إلى تأثره "بابن العربي" وأدبه وفكره الصوفي ، ذلك "أنّ المقامات والأحوال التي يجتازها ابن العربي ، والصوفية عموما في الطريق نحو الله تنتهي بفناء الصوفي عن ذاته ، البقاء بالله ، وفي مقام الفناء يتخلى الصوفي عن القول ويتحول مستمعا .وهو ما حدث لابن العربي في معراجه المتخيَّل ، إذ قال بعد بلوغه سدرة المنتهى :"سمعتُ كلاما مني لا داخلا في ولا خارجا عنِّي"[19]؛وأما "واسيني لعرج" فانَّه يختار هذا العنوان الذي يحيلنا مباشرة إلى المعراج المتخيَّل لصوفي نحو سدرة المنتهى ، ليؤكد أن المنتهى وصل إليه كل من الجد والجدة اللذان نال الكرامات ، وبلغا المرام ، ويربط العنوان بهذا الجد المتصوف فيقول :"**أكثر من نصف قرن ملئ بخلجات الحياة ، ورعشتها التي كانت كلما هزتني محت في طريقها سنوات الآلام وجحيم الخوف.....هكذا صمت كل هذا الوقت يا جدي؟**

بنت كلب كما تعود أسلافي أن يقولوا في لحظات غضبهم .لقد عشتها كما اشتهتني لأنَّها كانت الأقوى"[20]

وهذا اعتراف من الأسلاف الكاتب على شهوة العيش الجميل ، الذي انتقل بدوره إلى الكاتب كتحصيل حاصل كما ينتقل لون الشعر وباقي المورثات الفطرية ، ليتجلى المعراج المتخيَّل للكاتب ويحط في الفصل ما قبل الأخير :مسلك التماهي ، عودة المعراج إلى سحر الكتاب

---

[18] Ph Lejeune, moi aussi, p29

[19]. عبد الحميد هيمة ،الخطاب الصوفي وآليات التأويل ،منشورات وزارة الثقافة ،ط1، 2008 ،ص:95

[20] الرواية،ص:31

1. **ربِّ أرني كيف تحي الموت**
2. **لست أنت من يسألني ؟**
3. **في عتمة المشتهى**
4. **تلك التي اشتهتني .....عشتها**

أما الفصل الأخير فنجد:

بعض ما خفي من سيرة المُنتهى

2-3 الاهداء والمرجع: عشتها كما اشتهتني ، يعود الكاتب بحركة دائرية تربط مابين البداية والنهاية إلى "ميترا" ، هذه الشخصية التي يقول عنها أنها غير موجودة إلا في كتبه وأحلامه ، وقلبه تحديدا ، فهي الوحيدة التي يروي لها قصته دون خوف ، ونستطيع أن نقول عنها أنها تمثل شخصية خيالية لها أبعاد فنية وردت في البداية وفي النهاية ؛لتخلق مظهرا خياليا لسيرة الروائية من شأنه إبعاد القارئ عن الواقعية التي يتعهد الكاتب بتقديمها بداية من العنوان إلى الملحق الذي يؤكد فيه الأحداث التي كانت في الرواية ما هي إلا حقيقة كائنة في حياته. بداية يعلن الكاتب :**ميترا الحبيبة ....متعبٌ .إنها علامات النهايات .اخترتك أنت ، من بين مئات الأشخاص والشخصيات ، لتكوني أنا ، ولأروي لك آخر الحكاية كما تراءت لي، قبل أن أضع النُّور الأخير الذي بقي متقدا في ذاكرتي.....ميترا.....ميما الصغيرة .شكرا لك وحدك. لولاك، ما كانت هذه السِّيرة ، وما كان هذا المنتهى. واسيني**

في نهاية الرواية وقبل الملحق الذي أظافه الكاتب يعود الروائي إلى ميترا فيقول:"

ستون سنة يا ميترا ، وشيء من غبار الزمن .

ستون سنة والكثير من الحُب ....وإصرار بلا قيامة من أجل استحقاقها .لم يكن جدي السلالي الروخو مخطئا عندما قال بذلك ، ولم يكن أمامي من حل إلا الإنتساب لحبيبي جدي اللغوي دون كيخوتي/سرفانتاس الذي أكد مثل الفارس العاشق ، لأنها أهل لذلك ، ولأننا أيضا نريد أن نكون أهلا لذلك .

هل نحت هذا المعنى ؟ لا أدري ، لني حاولتُ.

حاولت بيقين الوصول إلى ما اشتهيتُ.[21]

وهذا الإهداء وإن اتسم بالبعد عن الواقع المتعلق بالسيرة المرجع أي الجد، إلا أنه شديد الصلة بالعوالم الحميمية للكاتب ، وعلاقته بشخصيات سواء أكانت خيالية كميترا، أو أدبية كسرفانتس، وما يراه المتلقي على أنه ضرب من الخيال قد يكون حقيقة بالنسبة للكاتب ، فسرفانتاس هو جزء لا يتجزأ من عالم الكاتب الحميمي .

4-الأثر الواقعي ومصداقية المحكي الذاتي لدى الكاتب: من الميثاق المرجعي الذي يعنى بالنص السيري ، إلى الميثاق الحقيقة والواقع ؛الذي توصل إليه بعد مسيرة ثلاثين سنة ، في كتابه :الميثاق السير ذاتي 2 علامات الحياة " le pacte autobiographique 2 signes de vie الصادر سنة 2005، ، لهذا يتحدث لوجون عن السيرة الذاتية والتخييل " autobiographie et fiction" إلى "التعهد بقول الحقيقة والواقع " ([22])؛الذي يكشف عن خبايا الأنا ، عن آلامها وأفراحها عن تلك المسافات الخفية التي يستطيع الواحد منا الافضاء بها إلى الآخر ، كيف وهو يخشى المكاشفة بها لنفسه ، وهذا نجده عند الكاتب "واسيني لعرج" ، وهو يتحدث عن شجون آلامته ، عن والدته التي عانت الأمّرين في تربيته ، عن شقيقته

[21] الرواية،ص:323

[22]Ph Lejeune, le pacte autobiographique, signes de vie, Ed, seuil ,paris 2005,p:37

الكبرى ظروف موتها وهي في عز صباها يقول عن والده :" لماذا **تخليت عن أمي يا أبي ؟كدت أن تخسرها ولم تبال أبدا ؟لماذا تركت أمي وحيدة يا أبي؟**

لا لم أتخل .لا تظلمني يا واسيني ، يكفي أن الحياة لم تكن سخية معي .

لاحظت أن والدي كان يناديني باسمي فقط واشتهيت في أعماقي أن يقول يا ابني شعرت باحراج من كلمته الجافة :لا"[23] وهكذا إلتزم الروائي "واسيني لعرج " بالكشف عن الحقيقة كاملة مهما كانت جارحة ، كنوع من التزام السارد في السيرة الذاتية ، أو السيرة بقول الحقيقة كاملة للقارئ، ليتساءل من الناحية النفسية كيف يمكن للموضوع قول الحقيقة لنفسه؟

ويأتي التعهد بقول الحقيقة متأخرا مع الملحق الذي أضافه الروائي ، كما يلي :

هكذا انتهت الصفحات الأخيرة من سيرتي : عشتها كما اشتهتني ولم ينته صخب الكتابة لم أعمل في هذه السيرة فقط على ما أسعفتني به الذاكرة في هذه الحالات تسعف لان الأمر لا يتعلق بتفاصيل الهاربة ولكن بجوهر صنع حياتي ، وإنما حاولت أن لا أتخلى عن حاضر هو فيَّ بقوة."[24]وفعلا السيرة ممتدة من ذاكرة إلى ذاكرة ، وهذا امتداد لا يخلوا من الخيال الذي يقودنا نحو ذهنية الكاتب إلا أن المواقف الحازمة ترسخ فيها كالوشم لا يمكن محوها ، ومهما كان نوعها فهي الهيكل المؤثث لبناء النص السيري، وهذا الامتداد أيضا شكل التماهي ومهما يكن فإن النص لا يمكن ألا يخلوا من المكون السير ذاتي للكاتب.

5-**مظاهر سرد الأنا الكاتبة :** من أشكال السرد العرب نجد السيرة الذاتية ، التي"يرويها صاحبها في نسق ذاتي ، ملتف حول مادة حكائية تتراوح كثافتها بين

[23] الرواية،ص:96.

[24] الرواية،ص:323.

الحكي ، ومبررات الحكي ، ونمذجة البناء السردي[25]وهذا السرد الحياتي ، أو الحياة المسرودة ، هي مرتبطة فقط بمظاهر الحياة الإنسانية .على حد تعبير ف.**لوجون**[26]، والدعوة إلى إنسانية ، هي انكشاف الأنا على ذاته أولا ثم أمام الآخر ، مهما كانت الصعوبة إلا أنها تأتي شيئا فشيئا ، لهذا يأتي السرد صادما في بعض أحيان للمتلقي ، بحسب قدرة الكاتب على الاعتراف ، والمواجهة "ذلك أن الدافع الغربي في كتابة السيرة الذاتية يكمن في أن مؤلف السيرة الذاتية ينصح قراءه بتحاشي السقوط في أخطاء المؤلف ، في حين أن الدافع لدى كاتب السيرة الذاتية العربية يكمن في دعوة القارئ إلى اقتداء بسيرته في تبيان نعم الله ، وفي خلفية الدافعين ، تكمن تجربة ثقافية ، ورؤية حضارية .[27] **وتتجلى هذه الرؤية الحضارية أول ما تتجلى في بداية الرواية السيرية يقول الكاتب :"السيرة ، السيرة الذاتية تحديدا ، إذا كانت في النهاية ، صراحة شديدة القسوة على كاتبها قبل قارئها ، فهي ليست أسرار يتم الكشف عنها بشجاعة تثير شهية القراء والنقاد على حد السواء ، وفضح خفايا النفس وعرض الحميمي أمام الآخرين بشكل استعراضي ، لارضاء ذات خاصة ، وعامة ، قلقة وربما مريضة ، لكنها فرصة قد تتاح مرة واحدة في العمر ، لانتصار لهذه الذات التي مرت عبر تجارب حياتية فيه من الجمال والمخاطر ما يستدعي تدوينها ، لكنها لا تشكل إلا درسا نموذجيا للآخرين ، لأنه لكل فرد مساره الذي قد يكون أبهى مما رويت ، وأجرأ مما أسررت ، وأنبل مما حكيت."**[28]وتتحقق واقعية الذات في السرد من خلال مظاهر تتجلى في السرد هي:

---

[25] شميسة غربي ،شعيب الحليفي ،دار الأمان ،ط1،الرباط،ص:09.

[26] ph, Lejeune ,moi aussi,p:16.

[27]--داويت .ف. راينولدز، ترجمة النفس ،السيرة الذاتية في الأدب العربي، تر: سعيد الغانمي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ،ط:2009.ص:08.

[28] الرواية،ص:336

1-**مسرد الميلاد**: يسرد الكاتب "واسيني لعرج" ظروف ولادته وتسميته ، باستفاضة خاصة وأنه الذكر الذي طالما انتظرته الأم ، وعانت الأمرين جراء عدم امتلاكه ، خاصة وأن هذه المرأة الريفية البسيطة ، تهب كل شيء بعفوية وحب لأولادها ، لزوجها الغائب المغترب في فرنسا ، كانت الوضعية صعبة تحت وطأة ألسنة الشامتة وساخرة ، حتى يبشرها الله برؤية تراها في منامها وكان الحمل في بدايته ، يقول الكاتب:"**كان الليل جميلا .والحر معتدلا على الرغم من عزّ الصيف .جاءني كما لم يأتني من قبل في رؤية كأنها حقيقية .**

-من يا بِّما، الله؟

-لا لا يا وليدي .اللي جاني هو سيدي أمحمد الواسيني :الولي الصالح المعروف بكراماته و وبركاته .كان ليلتها فارسا يمتطي حصانا عربيا أصيلا.كان يلبس برنسا أبيض ووجها مضاء بنور كأنه نور الصحابة .ربما كان ملاكا .العامرية تقول إنه سيدنا جبريل ؟ فقد قضى العمر كله زاهدا عن الدنيا واختار خلوته التي مات فيها .يقولون إن سيدي أمحمد الواسيني من أولاد زيان .وقف الولي الصالح عليَّ في تلك الليلة الصيفية الجميلة وكان بشوشا ورائقا .ولم ينزل من حصانه .قال هل عرفتني ؟ أجبته .لا ولكني من وجهك أظن أنك ولي صالح ، وأنك قاصد الخير ؟رد عليَّ:كلٌّ الخير .أنا أمحمد الواسيني .فقط كنت خاطر في بلاد، وجئت أبشرك بشئ يفرحك .قلت له خير وسلامة يا سيدي .قال وهو ينعتني باسمي الطفولي : يا لالة نويوة بنت الصغير ، سترزقين ذكرا وسيكون له شأن في هذه الدنيا ، سيتشرب علوم الله ويمتلأ قلبه بالإيمان .لا أطلب منك شيئا سوى أن تسميه باسمي لأتمكن ، بقدرة المولى ، من حفظه من أي مكروه.[29]

[29] الرواية،ص:87.

في اليوم الموالي ، يولد المولود معافى وذلك صبيحة عيد الأضحى ، وأصر الجد على تسميته باسم :"عيد "، إلا أن الوالدة تعارض حفاظا على وليدها "**لأن الولادة في موسم خاص هو حظ لا يتوفر دائما لكل الأفراد ، وهو علامة خير يحملها المولود معه لأهله ولقريته ولقبيلته وربما لأرضه .لكن جدك لم يكن قادرا على مخالفة رؤى رجال البلاد .كان يعرف جيدا سلطان سيدي أمحمد الواسيني .فانصاع للأمر .وهكذا سميت واسيني.**[30]

وهذا اسم من حيث التداول هو غير منتشر ، إلا أنه يوائم شخصية المؤلف ، من جهة ومن جهة أخرى يتخذ بعدا براغماتيا ، تداوليا ، يساهم في الإشهار للمؤَلَف (الرواية السيرية)، بوصفه إسما حقيقيا يشير إلى ميثاقٍ له مرجعته الواقعية في حياة الكاتب ؛وفي هذا يقر "ف.لوجون" إلى من أجل تداولية الاسم الحقيقي [31]، إلى أهمية اسم العلم الذي يشير إلى شخص حقيقي يكون له حالة مدنية ، وليس اسما خياليا .وهذا من شأنه يزيد من تأكيد الميثاق المرجعي الذي يتأسس من سرد حياتي تمتزج فيه السيرة«la biographie»والسيرة الذاتية «l'autobiographie»، ويكون السرد حياتيا واقعيا يمثل شخصية الكاتب ، من الميلاد يرحل الاسم مع صاحبه إلا مرحلة العشرية السوداء ، يقول الروائي :«**أسترجع مانشيت خبر اغتيالي كما قرأته في جريدة النصر اليومية التي تصدر بقسنطينة :اغتيال الروائي الجزائري واسيني الأعرج .أشعر في البداية بشيء من الزهو ثم ينتابني خوف عميق .أول شيء قمت به هو إخبار أهلي ، أمي خصوصا وتكذيب الخبر وطمأنة كل الأصدقاء الذين كانوا يعرفون مكان إقامتي .أشعر دائما بأن هناك رجلا حماني بصدره ليمنحني كل هذا الزمن وأنا مدين له بالرغم من أنه لا يدري لماذا قتل بالضبط ؟ الرجل الذي قتل ، خطأ كان**

[30] الرواية،ص:87

[31] Ph, Lejeune, moi aussi, p:70

موظفا بسيطا في الأمم المتحدة ، يمر كل صباح بالقرب من الجامعة قبل أن يذهب نحو عمله .كان اسمه واسيني الأحرش.[32]

2-مسرد أسماء العائلة: يأتي ذكر أسماء الحقيقين في الرواية ، عدا "الجد الروخو" الذي نجده ، أول شخصية اضطلع بها السرد ، ثم الجدة التي كانت موجه لسارد تحكي مآثر الجد، وما حدث للعائلة ، ثم تأتي الأم ، "ميما أميزار" وفي الرواية نجد مشهدا تم من خلاله ذكر أسماء العائلة، ":**ميما أميزار، بكل كبريائها .في حضنها صبي هادئ لا تظهر إلا بعض ملامحه الطفولية .زوليخا أختي التي بقيت طوال العمر الذي مضى جائعا إلى وجهها .بابا أحمد ، الوحيد الذي كانت على صدره بقع الدم ، تشبه تلك التي رأيتها مرتسمة على لباس جدي الروخو.عزيز أخي بابتسامته الأنيقة التي كانت آخر ما رأيته على وجهه..**"[33]

3-مسرد الأبعاد الفكرية: تحمل الرواية رؤية استشرافية تمتد فيها الذات الكاتبة من الماضي إلى الحاضر، هذه الذات تسافر في دهاليز ذاكرة مغايرة ، تمثل بالنسبة له نموذجا ، لهذا نجده يعود إلى الوراء ، لينفتح على المستقبل يقول :«**العمود التاريخي الذي أنتمي له سلاليا ، وهو ليس سلاليا ، هو قليل الأهمية لأنه وليد الصدفة ولا سلطان لي عليه ، ولكن ثقافيا ، وهذا الأهم .الجد الروخو ، سمح لي بالعودة إلى عصر مهم في عذاباتهم ومآلاته بعد سقوط آخر معاقل المسلمين، غرناطة ، وإعادة تركيب العائلة كما في مرويات الجدة ...**»[34]؛وهذه الإيديولوجية انتشرت عبر التاريخ الإسلامي والعربي، ففي العصر الحديث ، وخاصة بعد النكسة العربية التي أفرزت أدبا مغايرا شكلا ومضمونا عن ما سبق ، فأصبح المشهد العربي "مشحون بالأديولوجيات الثورية ، وطبقات الكلام

---

[32] الرواية،ص:87-88.

[33] الرواية،ص:72.

[34] الرواية،ص:72.

المتخشب، المبشر بآمال ستنكشف عن هزيمة 1967 التي أيقظت الحاجة إلى خطاب مختلف ، ينبع من أعماق الذات المجروحة ، ويحفر لها سنن البوح لاستعادة وجودها المتواري[35]؛وهذا البوح تميز بإستراتيجية حسب "عمر حلي" الذي يقول أنه اقترح على تسميتها ب" :بشعرية البوح "[36]، لهذا كانت لسيرة الروائية جمالية تسائل بها الذات الغيرية والمجتمع، وتعود مع المتلقي إلى تأمل ذاكرة بل فترة بعينها، عاش فيها الجد ، وبين المدون الحقيقي ، ومرويات الجدة ، تختلط الأسطورة بالواقع ، ليعود المتلقي إلى جانب الحميمي للكاتب ، هي مسيرة الأم ، فيغوص معه في واقع وإن كان داميا إلا أنه أفرز كاتبا له مسيرته الأدبية الخالدة في الساحة العربية ، ولعل هذا العمل هو مكاشفة للآخر ، وتجلي يقود الكاتب إلى مقام المنتهى ، يقول الكاتب بادئا ذي بدئ:عن حديث المعراج :«**قال هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة انهار :نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فقلت :ما هذا يا جبريل ؟قال : أما الباطنان فنهران الجنة ، وأما الظاهران ، فنيل والفرات .ثم رفع لي البيت المعمور.**

حديث نبوي شريف /صحيح البخاري ، عن حديث المعراج.[37]

وختاما :إنّ الكشف والتجلي عن فضاء الذات العاشقة للمطلق واللامنتهي، سواء أكانت للمرجع الذي استند إليه الكاتب وهو الجد ، أو الكاتب واسيني لعرج ، هو فضاء المناجاة الإلهية ، وفضاء حميمي للكاتب وعائلته ، فرواية السيرية بحق غوص في الذاكرة المتعددة ، وامتداد وتماهي من الماضي إلى الحاضر

---

[35] محمد برادة ،الذات في السرد الروائي ،دراسات نقدية ،ط1؛ 2010،الأزمنة للنشر والتوزيع ،ص:05.

[36] عمر حلي ،البوح والكتابة،دراسة في السيرة الذاتية في الأدب العربي،دار وليلي،ط1998،1،ص:06.

39 الرواية ص:9

تماهي الذات الكاتبة والميثاق المرجعي في الرواية السيرية:﴿سيرة المنتهى عشتها كما اشتهتني﴾ لواسيني لعرج

وبوح ذاتي للكاتب ورؤيته في الحياة، وكشف عن الخبايا الحميمية الذات الكاتبة في الرواية .